بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله الغُرِّ الميامين وصحبه الأفاضل الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أولا: الهدف من شرح تسهيل الفوائد لابن مالك باللغة الصومالية

هدفنا من شرحه باللغة الصومالية أن نُضيف هذا الكتاب العظيم إلى الكتب النحوية التي تُدرَّس في الحلقات العلمية في مساجدنا في الصومال على غرار ما فعلناه بالمختصر للإمام المزني في فقه الشافعية ليكون من حيث التسلسل التدريسي بعد ألفية ابن مالك لأنه أصعب منها بمراحل، وأغزر منها مادة.

إن طلاب علم النحو في الصومال فقراء ليس لهم من المراجع المعتمدة في تدريس علم النحو غير المتون المختصرة الموضوعة لبداية الطلب، فالواحد منهم عندنا ينتقل من مختصر قطر الندى لابن هشام إلى ألفية ابن مالك، وهما مختصران، فأما قطر النداء فمختصر جداً وضعه مؤلِّفُه للمبتدئين في علم النحو كما صرَّح به في مقدمة الكتاب، وألفية ابن مالك، وإن كانت أوسع منه بكثير إلا أنها هي الأخرى مختصرة من الكافي للناظم، ولهذا تسمى الألفية بالخلاصة، و فوق هذا وذاك فالألفية نظم، وليس القصد من المنظومات الاعتماد عليها في دارسة الفن، بل القصد منها حفظها عن ظهر قلب، ويأتي ذلك عادة بعد التوسُّع في الفن ليستذكر بها دارسُ علمِ النحو رؤوسَ المسائل النحوية المنتشرة في الكتب المطولة بعد تحصيلها، وعليه فلا تصلح الألفية أن تكون نهاية علم النحو لما هو معهود من المنظومات من عدم استيعابها للمسائل النحوية بتفريعاتها، لهذا أحببنا أن نضيف هذا الكتاب الذي يُعتَبر من أهم كتب النحو إن لم يكن أهمها إلى الحلقية العلمية في الصومال للارتقاء بها نحو الأكمل.

تنبيه: أنادي طلبة العلم الشرعي بمختلف تخصصاتهم بأعلى صوتي أن لا يُهَمِّشوا الحلقات العلمية في المساجد، ولا يرموها وراء ظهورهم باعتبارها من

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

التراث في الماضي، لأنها بإذن الله كانتْ، ولا تزالُ صمَّامَ الأمان للعلوم الشرعية في الصومال من الضياع، وقد حافظ الشعبُ الصومالي على العلوم الـــشرعية في بلادنا عبر القرون الغابرة من خلال تلك الحلقات العلمية في المساجد، وقد كانت تتم بجهود فردية، فلم تكن الدول المتعاقبة في بلادنا تُعير اهتماماً بالعلوم الشرعية وما يتصل بها تعلُّماً وتطبيقاً، لأنها كانت تتبنى العلمانية منهج حياة، بل وتفرضها على الشعب الصومالي المسلم تَزلُّفا بها إلى الدول الكبرى في الـــشرق والغـــرب كما لم تكن في الصومال جامعات حكومية، ولا أهلية تُدرَّس فيها العلوم الشرعية كما لم تكن.

ملحوظة: إن الجامعات الإسلامية الأهلية التي اشتهرت في الـــصومال في الآونة الأخيرة بعد سقوط الحكومة المركزية لا تستطيع أن تملأ الفراغ التي تركته الحلقات العلمية في المساجد بحال من الأحوال، فالطالب الجـــامعي في دراســـته يعتمد على مقررات جامعية من علوم شتى، وفي أبواب متفرقة، فمعلوماته فيهـــا مبعثرة غير مستوعبة لمادة الكتاب، ولا منتظمة كلها في فن، فلا يبقى للطالـــب منها في جعبته شيء بعد تخرجه فيها، ولهذا يجدر بنا أن نحافظ علـــى حلقاتنـــا العلمية في المساجد، وقد ورثناها أباً عن جد، ونحن من خلالها نطل على العـــالم الإسلامي في دراسة العلوم الشرعية من خلالها، فعلينا أن نعتز بها ونحافظ عليها، فلم يكن له ماض مُشرِّف لم يكن له مستقبل مُشرِق.

ونحن إذ نشيد بالحلقات العلمية، ونوصي بالمحافظة عليها لا نُقلِّلُ من أهمية الجامعات الإسلامية الأهلية في الصومال، فهي نُقلة نوعية استفاد منها طـــلاب كثيرون لولاها لم يكونوا يلتفتون إلى العلوم الشرعية لما للجامعات من السمعة، لدى المجتمع، فإنه (أي المجتمع) ينظر إلى الطالب الجامعي بصرف النظـــر عـــن تخصصه نظرةَ احترامٍ وتقديرٍ، لأن الطالب بعد التخرج في الجماعة يحصُل علـــى مؤهل علمي يُمكِّنُه من المشاركة في أيِّ مجال من مجالات الحياة توظيفاً وقيـــادة

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

ناهيك عن طريقة التدريس في الجامعة، فهي مُشوِّقة إذ يتعاقب على الطلاب في اليوم الواحد عدةُ أساتذة في فنون مختلفة بخلاف الحلقات العلمية في كل ذلك.

ثانيا: الحديث عن كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك في سطور.

إن هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه أستطيع أن أزعم أنه في فنِّ النحو بمثابة المنهاج للنووي في فقه الشافعية، فالكتاب شامل لأبواب النحو، متين في عباراته، عميق في دلالاته، كريم في عطاءاته، فلا يترك دارسَه وحيداً يعاني من التخبُّط في الفن حتى يدخله إلى النحو من أوسع أبوابه، ويوقفَه على أسراره من غير كلل، ولا تعب.

فكتاب التسهيل عمدةٌ في النحو، يُستَغنى به عن غيره، ولا يُغني عنه غيرُه، يقول المؤلف في مقدمته موضِّحاً مكانته في النحو: (هذا كتاب في النحو جعلتُه ــ بعون الله ــ مستوفياً لأصوله، مُستولياً على أبوابه، وفصوله) وقد وفَّى ــ رحمه الله ــ بما وعَد. ولئلا يستبعد أحدٌ إمكانية حصول المدَّعَى للمؤلف بحجة أنه سبقه غيرُه من جهابذة العلماء، في التأليف في النحو، فبادر بالجواب عليه بما يشفي صدور المنصفين بقوله في مقدمة الكتاب. (وإذا كانت العلومُ مِنَحًا إلهيةً، ومواهبَ اختصاصيةً، فغيرُ مُستَبعَدٍ أن يَدِّخر لبعض المتأخرين ما عسُر على كثير من المتقدمين، أعاذنا الله من حسد يسُدُّ باب الإنصاف، ويصُدُّ عن جميل الأوصاف).

فابن مالك وثيق الصلة بمذهب البصريين لكنه لا يتقيد به، بل هو إمام في النحو بلغ درجة الاجتهاد فيه يورد المذاهب النحوية، ولا يمل من تكرارها في كل مسألة، ولا يُهمل قولاً لضعف مستنده كما لا يَكتفِي به لشهرة قائله ما لم يكن له من الشواهد ما يدعمه، يرجح بين الأقوال بالدليل، فإن خفي الأقوى عليه، أو تعارضت الأدلة لديه رجَّح بينها بكثرة القائلين به، ويحفظ لسيبويه مكانته من بين أئمة النحو لما له من فضل على من عداه لكونه مؤسِّسَ علمِ النحو، وواضعَ

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

قواعده التي سار عليها مَن جاء بعده. رحمه الله رحمةً واسعة وأجزل له المثوبة على ما قدم للأمة المسلمة في حفظ اللغة العربية التي وعاء للعلوم الشرعية.

ومن عادة ابن مالك في كتابه أنه لا يذكر قولاً من غير ذكر قائله لئلا يحتاج الدارس لكتابه إلى الرجوع إلى مراجع أخرى لمعرفة القائل، يستقل قدر الإمكان من الألفاظ، ولكنه لا يُحمِّلها فوق طاقتها، ويستزيد من المعاني، ولكنه لا ينزل بها إلى حدِّ الألغاز.

ولئلا يتقوَّل عليه متقولٌ فيما قرره في كتابه بعد وفاته في تحريف كلامه، وحمله على غير قصده لقصور فهم، أو لسوء طوية، بادر ابن مالك إلى وضع شرح على كتابه ليكون حكَماً فيما اختُلف فيه من معانيه سماه شرح التسهيل، فقال في مقدمة الكتاب موضِّحا مكانة الشرح من الكتاب (... فأشفعتُه بكتاب يشتمل على ما خَفِي من مسائله، وتقرير ما اقتضى من دلائله، وعلى وجه يظفر معه بأتمِّ البيان، ويستغنى فيه بالخبر عن العيان).

وبذاك الشرح سدَّ ابنُ مالك البابَ على الدخلاء في الفن الذين بضاعتهم في النحو مزجاة، فمنعهم به من تشويه كلامه بحمله على ما لا يحتمل بكثير من التأويلات، لهذا بقي كتابه ــ بحمد الله ــ مصوناً من التلاعب إلا أن ابن مالك اخترمته المنية قبل إكمال شرحه، فتسلَّم الرايةَ منه ابنُه البار: بدر الدين ابنُ ابنِ مالك، فأكمله مُتَّبعاً خُطة أبيه في شرحه، فجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خيراً عما خلفوه لنا من العلوم النافعة.

وقد وضع الله لكُتب ابن مالك الطائي في اللغة القبول في الأرض، فلا تكاد تخلو مكتبة من مكتبات طلاب العلم من كتبه، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه جواد كريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه العبد الفقير إلى الله/ عمر إيمان أبو بكر

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional